50 - السيدة ماوية مولاة حُجَيْر

مراقبة الأسير المؤمن:

اسمها ماوية، كانت مولاةً لحُجَيْر بن أبي إهاب التميمي وكان خُبَيْبُ ابْنُ عَدِيٍ أخو بني جَحْجَبَى قد حُبس في بيتها ريثما تنتهي الأشهر الحُرُم فيخرجون به فيقتلونه.

وكان خُبَيْب يتهجَّد في الليل، ويتلو آيات من كتاب الله يقطع بها الأيام تنسلخ الأشهر الحُرُم، فتُزهق روحه، وكانت النساء إذا سمعنه رققن له، وبكينَ، وسألته ماوية مرة: ألكَ حاجةٌ يا خُبَيْب؟.

قال: هنَّ ثلاث، لا أبتغي سواهنَّ؛ أن تسقيني العذب، وألَّا تطعميني ما ذُبح على النصب، وأن تخبريني متى أرادوا قتلي، فوعدته بذلك.

ولما انصرمت الأشهر الحرم وعزموا أمرهم على قتله أتت ماوية فأخبرته، فما أبِهَ لذلك، ثم اسْتَعَارَ منها حين اجْتَمَعُوا مُوسَى يَسْتَحدُّ بها، فَأَعَارَتْهُ، فأخذ ابناً لَها، وَهي غَافِلَةٌ حين أتَاهُ.

تقول ماوية: بعد أن أعطيته الموسى لابني ودخل بها عليه، قلت لنفسي: أي شيء صنعت؟ الآن يقتله بها، ويكون قد أدرك ثأره، فلما أعطاه إياه قال له: أما إنك لجريء!! أما خشيت أمك غدري وقد بعثت بالموسى معك، وأنتم تريدون قتلي؟!.

قَالَتْ: فَوَجَدْتُهُ مُجلِسَهُ عَلى فَخِذِهِ والْمُوسَى بِيَدِهِ، فَفَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ فِي وَجْهي، فقلت: يا خُبيب إنما ائتمنتك بأمان الله، ولم أعطكها لتقتل بها ابني فقال: تَخْشَيْنَ أن أَقْتُلَهُ؟ ما كُنْتُ لأفْعَلَ ذَلِكَ! وَمَا نَسْتَحِلُّ في دِيْنِنَا الغَدْرَ، فقالت له: سيقتلونك الغداة.

ثمَّ إنهم جاؤوا فأخذوه إلى التنعيم، فَلمَّا خَرَجُوا مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الحِلِّ، قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ: ذَرُوني أرْكَعْ رَكْعَتَيْن، فَتَركُوهُ فَرَكَع رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: لَوْلا أنْ تَظُنُّوا أنَّ ما بِي جَزَعٌ لَطَوَّلْتُهَا، اللَّهُمَّ أحْصِهِمْ عَدَداً، واقْتُلْهُمْ بَدَداً، ولا تَذَرْ مِنْهُمْ أحَداً، ثُمَّ أَنْشَدَ:

وَلَسْتُ أُبَالي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِماً عَلَى أيِّ شِقٍّ كَانَ فِي الله مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذاتِ الإلَهِ وَإِنْ يَشَأْ يُبَارِكْ عَلى أوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ أَحَدُ أَبْنَاءِ الحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ، الَّذِي كَانَ خُبَيْبٌ قَدْ قَتَلَهُ فِي بَدْرٍ فَقَتَلَهُ فَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ سَنّ الرَّكْعَتَيْن لِكُلِّ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرَاً[1].

وبعث رسول الله ﷺ من يحلُّ وثاق خبيب فلما رقي الخشبة وفكَّ الحبل سقطت جثة خبيب على الأرض، فلما نزل لم ير لخبيب أثراً، وكأن الأرض ابتلعتها.

إسلامها:

وكان الرجال والنساء والأطفال قد خرجوا ليشهدوا قتل خُبيب، وقد أثَّر المشهد في ماوية، فدخلت في دينه، ثُمَّ قَالَتْ: واللهِ، مَا رَأَيْتُ أسِيراً قَطُّ خَيْراً مِنْ خُبَيْبٍ، واللهِ، لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْماً يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ في يَدِهِ وإنَّهُ لَمُوثَقٌ في الْحَدِيدِ وما بِمَكَّة مِنْ ثَمَرٍ وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّهُ لَرِزقٌ مِنَ الله رَزَقَهُ خُبَيْباً[2].

رحم الله خبيباً، وماوية، وأنزلهما منزل الأبرار.

(1) رواه: البخاري/ كتاب: الجهاد والسير/ باب: هل يستأسر الرجل؟ ومن لم يستأسر، ومن ركع ركعتين/ برقم: (2818).